طريق الأشقياء
سيد أحمد أمين
رواية

# {طريق الأشقياء}

## إهداء:

**أهدي هذه الرواية لكل شخص لم يتب بعد من معاصيه، وأنذره بأن مستقبله إن لم يتب سيكون أسود من حاضره وماضيه.**

# {الفصل الأول}

لم أكن أعلم أن حياتي ستنتهي بهذا الهراء، بل لم أتخيل أن تكون هذه نهايتي، فبعدما كنت من الأبطال ومن الاقوياء أصبحت واهن البدن خاوي القوة ولا أقوى على الحياة.

فبعد عقدين من عمري أظن حياتي قد انتهت، فما وصلت إليه من مرض آذن لعمري بالفناء ،فما أصعب من مرض وضياع الصحة!

وما أجمل من حياة الأصحاء!

لقد كنت بين الأطفال في صغري أحلم بمستقبل عظيم وبحياة الأبطال ،فكنت أهرول وألعب وكنت من الأقوياء ، ولكنني بعد هذا العمر أتذكر طفولتي وأنا عمري خمسة أعوام ،فقد كنت أعيش مع أبي وأمي وإخوتي في بيت متواضع وحياة بسيطة كحياة أغلب القرويين وقتئذ، وكنت أذهب عند الشيخ عصراً ليحفظني القرآن، وطوال اليوم ألعب مع أخي كريم أمام منزلنا الذي يحيطه هذا السور الذي شيد من أجل الفيضان الذي كان

يأتي إلى قريتنا كل عام، فكنا نلعب بعض الألعاب البسيطة مثل القفز من خلال الحبل ،ونقفز من مكان مرتفع بعض الشيء، وكنا نلعب كرة التنس تارة وكرة القدم تارة ،فكنا نقلد ما نشاهده في التلفاز الذي كان لا يحتوي إلا على قناتين فقط ،فكنا نشاهد التلفاز ونفعل ما يفعله الأبطال من قفز وضرب وألعاب قوة ،وهذا لأنه لا يوجد عندنا في البلدة أي ناد أو تدريب على الألعاب الفردية، ولكننا لما كبرنا في سن السابعة و الثامنة كنا نذهب هذا المكان الذي يتجمع فيه الكبار والصغار عصراً فيلعبون كرة القدم، فكنت أنا وأخي عامر نشارك في اللعب مع أقراننا ثم نعود للمنزل عند المغرب وقبل الظلام وحتى نتناول العشاء مع أبينا وأمنا، فوجبات الطعام عندنا كانت منضبطة ،فالإفطار في الصباح الباكر والغداء بعد آذان الظهر والعشاء بعد المغرب مباشرة، ولا طعام بين تلك الوجبات إطلاقاً، لذا كنا في صحة وعافية وسعادة رغم هذا العيش البسيط ومع أننا نعيش في منزل قد شيد بالطوب اللبن وسقفه من الجريد والأرض من التراب ولا يحتوي المنزل على دولاب ولا مطبخ ولا غسالة أو ثلاجة أو أي شيء سوى "الزير" الذي يوضع به الماء وهذا التنور الكبير الذي تخبز

فيه أمي الخبز دوماً ،فكنا نعيش كما الملوك مع بساطة عيشنا ،وكنا لا نحس بالحر أو البرد ولا نعاني كما نعاني اليوم من رطوبة ومطر وحر وبرد مع وجود كل شيء في حياتنا.

فكم كانت أمي عظيمة ،فقد كانت تطهو وتخبز وتحمل الجرة وبها الماء عدة مرات من مكان بعيد، وكانت تقص علينا عن أبينا وبطولاته في الجندية وكيف كان في حرب أكتوبر عام 1973 بيننا وبين إسرائيل، وكانت دوماً ما تحافظ علينا في غياب أبي وهو في المملكة العربية السعودية، وكنا نجتمع حولها في هدوء الليل وسكونه بعد العشاء، فتقص علينا كل يوم قصة مثيرة ظل صداها في مسمعي حتى كبرت ،ولم يكن منزلنا فيه أدنى اضطراب ولا قسوة من أب أو أم حتى أكون كما أنا عليه الآن كما يدعي البعض أن اضطراب الشخصية يأتي من قوة الأم أو عنف الأب أو ضعفه ،فلم يكن أبي ولا أمي كذلك ورغم ذلك خرجنا للحياة نحن الثلاثة بعد موت أبي وأمي لا نحب بعضنا ،بعدما كنا نحب بعضنا بعضاً ونلهو ونخرج مع بعض ،ونتشاجر سوياً ضد أي أحد يعتدي على أحدنا، فكم كنا في ود وحب وإخاء ليس لهو نظير، حتى أن

**أحد معلمي أخذ ينصحني يوماً ما بعدما صار هناك الإنترنت والسوشيال مديا فقال لي:**

**إن النفس البشرية كالبئر الخاوي الذي ليس به الماء ، فلو لم تملأه بالماء امتلأ بالهوام والحشرات والحشائش القذرة ، كذلك النفس البشرية إذا لم تملاها بما ينفعها ملأت بالأشياء الضارة لها وللبدن ، فتصبح ألعوبة في أيدي الخبثاء مثل إبليس اللعين وأصحاب السوء وسوق الرذيلة ، والنفس كالطفل كما قال الشاعر:**

**(والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم).**

**فلابد من شغل النفس بالعمل النافع بعيداً عن الفراغ القاتل الذي يلقي بصاحبه في غيابات الأمراض النفسية والعصبية والإدمان والمخدرات والشذوذ والغرق في مستنقع الفاحشة ، فهذه النفس من الممكن بل من المؤكد أنها معطاءة وغنية بالأشياء المثمرة والطاقة المتجددة وتتكيف مع كل العوامل والظروف الحياتية حسب الوقت والمكان ، فالصبي الصغير إذا أخذت بيده وذهبت به لأحد النوادي الرياضية وتعلم في صغره لعبة الجمباز لصار بدنه كقطعة الملبن ينحني للوراء**

ويقفز ويفعل حركات من الصعب فعلها لمن لم يتمرن عليها وكذلك لاعبي كمال الأجسام يجعل من جسده قطعة عضلية فولاذية ويشكل من بدنه مجموعة عضلية لا تقارن بأي إنسان لم يفعل ما فعله بجسده ، وكذلك كل المهارات والأعمال والحرف والهوايات ، فالوقت كالسيف كما قيل إن لم تقطعه قطعك ، وساعات اليوم أصبحت قليلة ، فأنت تذهب في الصباح للعمل وتعود للمنزل في المساء وبك من التعب والإرهاق الكثير وتريد أن تجلس مع أولادك وأهلك ، فلما تضيع وقتك أمام صفحات التواصل الاجتماعية بالساعات وأمام التلفاز وعلى المقاهي وفي الطرقات ، هيا قم بكتابة أي شيء مثلاً : مثل مقالٍ أو قصة قصيرة أو أقرأ أو احفظ ولو آية من القرآن ، أو هيا للنادي ومارس هواية مثل كمال الأجسام حتى لا تتضاءل عضلات جسمك ويحدث لها بعض الضعف والهزلان ويكون له ما يسمى ( بالكرش) ويحدث لك ترهلات وتعاني بعدها من السمنة والتخمة وتبحث عن رجيم قاسٍ ليجعلك تعود كالسابق بلا كرشٍ أو زيادة في الوزن وتعاني من السكر وضغط الدم وأمراض السمنة المختلفة من وجعٍ وألمٍ في القدم والركبة والظهر ، وتقول حينها يا ليتني

**لم أفرط في الطعام والشراب ،والحقيقة هي أنك تركت عضلاتك تترهّلُ وترتخي دون تدريبها ، فقد تقول :**

**يا سيدي أنا أعود من العمل وبي من الإرهاق والتعب ما يجعلني لا أستطيع الحراك لأي مكان ، فأقول لك:**

**أنا لا أطالبك بالذهاب هنا أو هناك فإن عجزت عن الذهاب لبعض صالات أو نوادي كمال الأجسام فاشتري القليل من هذه الأثقال وتمرن بها في المنزل أو استكفي بتمرين البطن والضغط على الذراع ولو كل تمرين تفعله خمس دقائق فتكون بذلك مرنت بطنك وعضلات الصدر والذراع والظهر بالسهل من التمارين ، قد يستحي بعض الناس من ذلك لكبر سنه ولأنه تعدى عمر الشباب أو لأنه يعاني من بعض المشاكل الأسرية من نقصٍ في الأموال أو احتياج للمال ، فأقول لك: إن مشاكل الحياة لا تنتهي أبداً والنفس مجبولة على الكسل والخمول وحب الراحة وعدم بذل الجهد ، فأنت بذلك تساعدها على غيها ومرادها ، فمع الوقت ستقودك لترك العمل والإهمال والتسيب وعدم الانضباط في كل حياتك وخاصة مع ربك ، فلن تصلي الفجر في جماعة ولن تقرأ القرآن ولن**

**تمشي للمساجد بحجة التعب والإرهاق ، وربما جعلتك تصلي قاعداً ، وفي النهاية تجد عمرك قد ضاع وتتحسر إذا شاهدت من يملك الجسد القوي السليم وتندم إذا رأيت من أبدع وتقدم في حياته بأي عمل به الهواية ، وفي النهاية أقول لك:**

**عليك بترك ما لا ينفع ولا يثمر واستثمر هذه الساعات القليلة في نفع نفسك أو غيرك بأي عمل تفرح به وتفتخر به بين الناس ، ولا تجلس لتشاهد الڤديوهات والصور على مواقع التواصل الاجتماعية لتعلق أو تعجب أو لتضع بعض الصور ، ولكن عليك بأن تكون من أصحاب هذه الڤديوهات ومن أصحاب الأعمال التي تنفع الناس مثل مقالٍ أو تعليم حرفة أو تقديم وظيفة للناس أو في مجال يعود عليك أولاً بالنفع وعلى غيرك دون أن تكون من الذين يستغلون حوائج الناس ويضرونهم في أفكارهم وحياتهم سواء كانت معنوية أو حسية .**

**ولكنني بعد هذا أتذكر ظلم أبي، فقد فعل ما لم يدركه أو يحسب له، فقد كتب لأخينا الأوسط كل شيء ،فقد كتب له الدار والأرض وهذا لأنه ساعده في الحقل وقطعت يده وهو يعمل معه يوماً من الأيام ،فصرنا بعدها أعداء بعدما كنا إخوة**

**أحباء ، فلقد مات أبي في قلبي قبل أن يموت في الواقع ،ولقد تخلينا عن بعضنا بكل أرواحنا، ففقدت إخوتي رغم أنهم على قيد الحياة، فهم كالموتى لي، فلا نسأل عن بعض ولا نزور بعضنا ولا نتواصل في أعياد ولا مناسبات ولا في أفراح أو أتراح، فلقد جاء إلي أخي الأصغر يوماً ما وقال لي:**

**يا حسام ألا ترى أن لنا الحق في دار وأرض أبينا؟**

**فقلت له وأنا أعلم أنه يريد الانتقام من أخيه لأنه يبغض حتى نفسه:**

**نعم يا عامر ؛ إن لنا الحق في الدار والأرض ولكن كيف لنا ذلك وقد كتب لمحمود كل شيء؟**

**فقال عامر وقد ظهر عليه الغضب:**

**أي كتابة تعني يا حسام ؛ لقد خالف هذا الأب الشرع وفرق بيننا ،حتى إن محمود لم يتنازل عن شبر قد كتب له، فزوجته مثل الحرباء ،قد ألقت في قلبه بغضنا وظلمه لنا.**

**فقلت له وأنا هادئ الطباع:**

**وماذا برأيك تريد منا عمله بعد هذه الشهور التي مضت بعد موت أبويك؟**

**فقال عامر في صوت أجشٍ:**

**لابد أن نأخذ حقنا منه بأي طريقة ممكنة أو غير ممكنة، فقلت له وأنا أعلم نيته:**

**وماذا نفعل معه:**

**فقال في صوت خافت:**

**نقتله ونقتل زوجته وأولاده، وسيكون لنا الحق فيما أخذه من أبينا، فقلت له وأنا أجاريه حتى أعلم ما يضمره:**

**وكيف نتخلص منه يا عامر؟**

**فقال لي وقد اقترب مني:**

**نأتي بقاتل مأجور يقتله هو وزوجته وأولاده ونسافر أنا وأنت لأي بلد حتى يتم قتله ولا يشك فينا ،فدخلت على عقلي تلك الفكرة وقلت له:**

**أنا معك، فقد ظلمنا من أبينا ونحن الآن نتجرع الفقر رغم أن محمود يتمتع بعشرة فدادين من الأرض ،فلقد باء أبي بظلمنا قبل أن نظلم محمود ونقتله، فهو لو ترك الميراث نتقاسمه كما أمر الله لما حدث ذلك بيننا ولعشنا أحباء فيما بيننا ولم نتقاطع أو نتدابر هكذا، فقال عامر وهو يبتسم:**

**ومتى نقوم بذلك؟**

**فقلت له وأنا أنظر إليه:**

**في أقرب وقت ،فقام وهو يبتسم وقال لي:**

**سأذهب إلى قاتل محترف وأتفق معه ليقوم بذلك ونستريح منه.**

**-انصرف عامر وتركني أحدث نفسي وزوجتي تسألني:**

**ماذا كان يريد عامر منك؟**

**فقلت لها:**

**لا شيء؛ ثم تركتها وخرجت أحدث نفسي:**

**هل ما سنفعله يرضي الله؟ أماذا أفعل يا رب؟**

**ثمة شيء في صدري يحيك ويقلقني؛ هل أقتل أخي وأولاده وأنتزع أرواحهم من أجل المال؟**

**لا لن أساعد أخي عامر ،فهو أشبه بالشيطان الرجيم ،لن أسير خلفه، فهو يجرني للشقاء وللعذاب، ولكنه على حق فيما قال، فإن أبي ظلمنا أنا وهو ،فلماذا لا نأخذ حقنا بأي**

**طريقة ونتمتع بما حرمنا منه، فالظلم قد وقع علينا أولاً منه ومن أبيه ،فنحن لن نظلمه لأنه بدأ بظلمنا ،والبادئ أظلم.**

# {الفصل الثاني}

ذهب عامر لقاتل مأجور يكنى بالجراح، فقابله عامر بعدما اتصل على حسام وتقابلوا على مقهى بجوار منزل هذا القاتل، واتفقا معه على قتل أخيهم محمود مقابل مبلغ من المال، فقد أعطوه نصف المبلغ وصورته وعنوانه، وقالا له:

والنصف الآخر بعد تنفيذ المهمة.

فأعمى قلبهما الحسد والغيرة والحقد ، فكم أدخلت عين الحاسد الكثير من الناس إلى القبور والمستشفيات والمصحات النفسية، وكم طلقت من نساء، وكم خربت من بيوت كانت مليئة بالسعادة ،وكم أثكلت عين الحاسد أمهات وكم أحرقت وأحزنت، وكم أدخلت في السجون الكثير.

فلا يعرف الحاسد أنه قد يقتل بعينيه السقيمتين الكثير من الرجال والنساء والأطفال دون ذنب إلا أنه يرى أنهم أفضل منه.

فيا لك من قاتل وخائن ومخرب للبيوت.

**فكم خربت الديار أيها الحاسد اللئيم، وكم جعلت من الأطفال من يعيشون مرارة اليتم بعينيك التي ستفقدهما في نار جهنم وبئس المصير.**

**فكم من نساء فقدن أزواجهن بسبب عينيك التي تشبه عين إبليس اللعين.**

**وكم من رجل فقد زوجته بسبب نظرتك اللعينة وحسدك إياها.**

**ففي القبور؛ وفي السجون؛ وفي الأحزان والهموم والمستشفيات كل من جنيت عليهم أيها الحاسد المريض.**

**فأعيننا تبكي على ضحاياك ومن قتلت وأسقمت ،والقلب يعتصر حزناً من هذا العدو الخفي ، فما أجبنك وما أصغرك وأحقرك أيها الحاسد اللعين.**

**فوالله لا حسنة لك ولا جنة لك كما ورد في ديننا أيها القاتل العنيد، فحسناتك لا وزن لها، لأن الحسد يحول الحسنات لرماد وتراب.**

**فهلاَّ غضضت نظرك عن نعم الناس ،فأنت كما عند الناس فهو عندك ،فلو كان لديهم المال ،فلديك العيال ،وإن كان لديه الصحة، فلديك المرأة الحسناء والعمل المستقر، وهكذا ،فكل**

واحد منا قد أخذ حظه من الدنيا فإما يكون قد أخذه من الأولاد والصحة أو من الأموال والعمل أو غير ذلك، فلا تنظر لنعم غيرك ،فقد يكون من تنظر إليه لا يستطيع أن يأكل كما تأكل ،أو قد لا يمتلك صحة جنسية كما تملك، أو قد لا يكون عنده مثل أولادك ،أو قد تكون زوجته كثيرة الطلبات والسخط عليه ،وأنت زوجتك تفعل لك ما تشاء ولا تطلب منك شيئاً، وهكذا، فقس على الناس حياتك، فستجد ما أنت فيه من النعم أفضل من غيرك، فصاحب المال الكثير والعقارات والعمل المثمر قد تجده في الصحة الجنسية أقل منك بكثير، أو قد تجده لا يأكل كل شيء كما تأكل ،أو قد تجده في حرب نفسية مع زوجته وأولاده ومن حوله ممن يتعامل معهم ،فما أكثر منغصات المال ،فهناك كما تعلمنا أنه يوجد الرزق السلبي كما يوجد الرزق الإيجابي، فالرزق الإيجابي هو الطعام والشراب واللباس والعقارات والأموال، أما الرزق السلبي فهو أن يمنع عنك الله بنزين السيارة وتكاليف المنازل الباهظة، ويمنع عنك المدارس والجامعات الخاصة بنبوغ ولدك وفهمه في المدارس والجامعات الحكومية ،وأن يمنع عنك طلبات زوجتك الكثيرة والمصايف والرحلات والملابس الكثيرة والمطاعم

**والسفر المكلف، والذهاب إلى الأطباء وجلب الدواء لشتى الأمراض، ويمنع عنك مصاريف الكهرباء والغاز الكثير بسبب كثرة الأجهزة الكهربائية من تكييف وغيره، ويمنع عنك الطعام والشراب الزائد لهذا وذاك وكثرة الحفلات وأعياد الميلاد، وهكذا، فهل أنت أيها الحاسد بعيشك البسيط تحسد من لا يعرف النوم؟**

**هل أيها الحاسد البغيض تنظر لمن حياته لا تعلم عنها سوى الطعام والشراب والسيارات؟**

**لو اطلعت على عيش غيرك وما فيه من كدر وعنت ومرض لحمدت ربك على ما أنت فيه ،ولكن داخلك يفعمه المرض ،فأنت أسوأ من إبليس، فهو أيضاً أول من حسد ، فلقد نظر لآدم وقال:**

**( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)**

**فقد حسد آدم على تكريمه من ربه ومن سجود الملائكة له، فمنعه ذلك من تنفيذ أمر الله له ،فكان جزاءه الخلد في الدنيا ،والخلد في النار فقد لعنه الله وطرده من الجنة والسماء ،**

**وأنزله إلى الأرض ومسخه على هيئة قذرة، وكذلك أنت أيها الحاسد اللعين ستخلد في النار وستذوق الوبال ،وستندم ولكن بعد فوات الاوان ،وستبكي على ضحاياك ومن قتلت ،ولكن بكائك لن ينفعك ولن يشفع لك.**

**-ذهب كلاً من عامر وحسام إلى منزلهما ومحمود في حقله يعمل ويزرع ولكنها زرع الفرقة والشتات وحصاد الظلم والحسد والفراق، فما أحقر من أب فرق بين بنيه وظلم وجار على شرع الله سبحانه وتعالى ،فدائماً ما يجني الأب الظالم سوء ما فعل ،فلقد أخطأ نبي الله يعقوب لما آثر يوسف على باقي إخوته، فزرع بذلك بذر البغض وثمار الحقد وجذور الحسد والشقاق ،فمع أنهم أولاد نبي كريم وجدهم من الأنبياء إلا أنهم أعمت بصيرتهم معاملة الأب الذي لا يعدل في حبه وعطائه، فهذا أحد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وهو النعمان بن بشير يروي قصته مع أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم، فيقول:**

**(ذهب بي أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:**

**يا رسول الله لقد نحلت ابني هذا بستاناً، فاشهد عليه ،فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :أكل ولدك نحلت مثله؟ فقال**

**البشير: لا ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أشهد عليه غيري ،فإني لا أشهد على جور.)**

**فالجور أن تمنح أحد أولادك أعطية ؛ أو قطعة أرض؛ أو بعض المال ولا تعطى سائر ولدك مثله، فمن هنا يأتي البغض بين الأولاد والشقاق والفراق وربما القتل كما فعل قابيل بهابيل لما تقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فقتله، وكما فعل إخوة يوسف معه، فلا نلقي اللوم على إخوة ظلموا، ولا أبناء فرق بينهم في حب وعطف، أو عطاء ،فكما تحب أحد أولادك لا تشعر إخوته بالفرق في الحب ،فهذا أبسط شيء ولكنه معيار التفرقة، ويلاحظها الولد من أبيه أو أمه ،فينشأ البغض والحقد والحسد والغيرة بينهم.**

**-ذهب حسام إلى منزله وقلبه يخفت من شدة خوفه على ما أقدم عليه وتغير حاله حتى سألته زوجته وهي تقترب منه:**

**ما بك يا حسام ،ما لي أراك متجهم الوجه حزين الفؤاد؟**

**فقال لها وهو قد أبعد بصره عنها:**

**لا شيء إنها ثمة مشاكل في العمل وفقط ، فقالت له وهي تضع يدها على كتفه:**

**لا ليس ما أراه عليك الآن ما تدعيه، بل هو عامر ،فمنذ أن أتاك بالأمس وقد تغير حالك وصرت متجهماً وعبوساً، فقال لها حسام وقد ظهر عليه الغضب:**

**دعيني الآن يا حسناء ،فأنا متعب البدن ولا أقوى على الكلام ،فقالت له حسناء وهي تتلوى كالحرباء:**

**أنا المخطئة لأني أردت أن أخفف عنك، فلك مطلق الحرية في خلوتك، وسأترك لك الغرفة وأنام مع الأولاد ،ثم أغلقت الباب بعنف وخرجت وتركت حسام يحدث نفسه قائلاً:**

**ترى يا حسام ما أقدمت عليه أنت وعامر من الصواب ،أو يرضى عنه الله؟**

**لقد أخطأنا خطئاً عظيماً وسنجني عاقبته فيما بعد، فهل وصلنا إلى أن يقتل الأخ ابن أمه وأبيه؟**

**هل أصبحنا كإخوة يوسف عليه السلام، أم أصبحنا في غابة؟**

**أي نعم لقد ظلمنا وتمادى محمود في ظلمه لنا بعدم منحنا أي شيء مما كتب له من أبيه، وباء بكل نقيصة، فقد تغير وطغى وصار من الأثرياء وأنا وعامر نتجرع الفقر مراراً، حتى لا يزورنا ولا يسأل علينا وقاطعنا ويكلمنا من طرف أنفه، أي**

**نعم ليس كل أخ يصح حبه و إخوته وتماسكه ،لأن الأخ قد فرض عليك وأنت لم تختره كالصديق مثلاً، أو كالزوجة، بل هو ابن أبيك وأمك ،فمن الممكن أن يكون نعم الأخ والصديق والرفيق، ومن الممكن أن يكون بئس الأخ والرفيق، فمن النادر أن تجد في هذا الزمان الأخ الوفي الصديق الحنون، وهذا للبعد عن الدين وطغيان المادية على الناس وكثرة المال والوسائل الترفيهية مما أدى إلى البعد الاجتماعي بين فئات المجتمع كله أسرة وعائلة ودولة وقارة وعالم.**

**-ذهب القاتل المأجور لمكان محمود وراقبه عن كثب وعرف كل تحركاته في الحقل وفي المنزل ،ورصد متى يدخل المنزل ومتى يخرج، وبعد ثلاث ليال من المراقبة وبينما يجلس محمود مع أولاده وأهله ليلاً أمام التلفاز وبعد الساعة الثانية عشر في منتصف الليل سمع محمود صوت وقع أقدام فوق السطح فارتاب للأمر وصعد ليرى ما هذا الصوت، فإذا بهذا القاتل يخرج عليه من مخبئه ويطلق عليه رصاصة في رأسه دون صوت، لأنه قد وضع في سلاحه ذلك الكاتم للصوت، فقتله ثم نزل من على الدرج في هدوء كأنه لم يقترف أي شيء ،ثم لمح أولاده الثلاثة يجلسون ومعهم أمهم فأطلق**

النار عليهم فقتل الزوجة وبنتها وأحد الذكور وفر أحدهم للخارج، فلم يدركه ذلك القاتل حتى بعدما تعقبه ولكنه اختفى كأنه جانٌّ، فمضى القاتل المحترف وترك ما جناه ولكن الولد عاد لينظر نظرة أخيرة على أمه وأبيه وإخوته وهم قتلى، ولكنه لن ينسى وجه هذا القاتل أبداً، فهذا الولد في العاشرة من عمره وكان قد أسمته أمه عماد على اسم خاله، فمضى عماد ذلك الولد المكلوم خارج المنزل ليدع داره وماله وأسرته خوفاً من رجوع ذلك القاتل، وبعقله الصغير لم يدرك كيف يتصرف ولا ماذا عليه عمله ،فذهب لمحطة القطار واستقل أول قطار للقاهرة ليذهب إلى أعمامه الذين لا يعرف لهم أي منزل أو طريق ليخبرهما بما حدث ،ظناً منه أنهما عماه وسينتقمان له ممن فعل ذلك، ولا يعرف عماد أن من فعل ذلك هما إخوة أبيه، فيا لقسوة تلك الحياة الدنيا ،فكم سلبت من أم وليدها ومن بنت صغيرة أمها ،وكم أضنت وكم أشقت وكم جعلت من الإخوة أعداء ومن الحب شقاء، وكم طلقت وفرقت وأماتت وأبعدت ،وحرمت وأسقطت، فهذه الحياة أم البلايا ومرتع الغواية ،وصخرة تنكسر عليها آمال الطامحين وبها سكن الغابرين وأحلام العابرين، فكم من سعيد

**أشقته ومن صحيح أعيته ومن عزيز أذلته، فهي أرض البلاء وموطن الشقاء وموضع الخيلاء، فلا مستقر لحالها ولا مأمن لها، فهي دار كل لاهٍ ومأوى كل ساهٍ ، ولها يجمع كل جاهل، سعادتها بؤس وفرحها حزن ،وصحتها سقم ،فكم من روح سلبت ومن ابن قتلت ومن حبيبين فرقت، ملعونة تلك الحياة الدنيا، ملعون من فيها ،إلا ذكر الله وما ولاه وعالم ومتعلم.**

# {الفصل الثالث}

ظل عماد يبكي طوال سفره في القطار دون أن يشعر من حوله بذلك ،وصورة القاتل لا تفارق خياله ولا منظر أمه وإخوته وأبيه وهم صرعى دون حراك، فلقد أتى الإنسان على هذه الأرض ليعاني ويكابد ويسعى ويعمل ويمرض ويصح ،ويفقد الغالي والنفيس ، ويجد ما يفرحه وما يحزنه ،فهو دوماً في عناء وكبد، فالفرح على الأرض لا يكتمل ،والبهجة مكللة بالحَزَنْ، وما بين أفراح وأتراح ، وفقد وتلاقٍ تجد اللذة، وبعد كل طريق مظلمٍ تجد النور، ولكن لذة التحصيل بعد المعاناة لا يضاهيها لذة ، فبعد الكد والتعب والعرق والشقاء تجد ثمرة تعبك ،فتفرح وتطرب ويستهل وجهك، وبعد الحمل والمخاض تجد المرأة ثمرة حملها وألمها في ضحكة وليدها ، فهذه هي الحياة ،هذه الحياة البشرية لا دوام لنهارها، ولا استمرار لشمسها ولا ظلها ولا هواءها ،فقد تنغص عيش كل فرحان ، وتسمم صحة الأبطال ، وتنزع لذة الطمأنينة ، وتعكر صفو قوم قد ناموا في أمان ، ففيها الأمراض والأسقام والأحزان ونسل الشيطان.

**فقد تتعرض للجوع بعد الشبع ، وللظمأ بعد الري ، وللمرض بعد الصحة والفتوة ، فنعم الحياة متقلبة ، ولا مستقر لحياة إنسان كائن من كان ، فالليل يأتي بغير وجه النهار، والنهار يفاجئنا بتغيير في الجسم والمكان ،ولكن هذه الحياة قد اعتدنا عليها ، حتى صرنا لا نأمن مكرها ، ونخشى من ظلمها ، فما أظلم من ليل العليل!**

**وما بعد الصحة من نعيم!**

**فلا تساوي الدنيا كلها أمام سلب العافية، ولا طعم لها بجانب المرض، فيا يا كل مغرور بصحته ، ويا كل سعيد بثروته ، والله لن تتمتع بذلك كثيراً ، فلا تتعالى بمالك ولا سلطانك ، ولا خلو جسدك من الأسقام، فسوف يتبدل نعيمك لكَدرٍ ، وسرورك لحزن ، وما أنت به من نعمة لسلب وافتقار، فاعمل لذلك اليوم، ولا تتكبر ولا تتعالى ، فكم من متمتع بنعم الله عليه ولا يدري أنها كتبت لغيره وستذهب عنه ،فيا أيها المسكين الذي قضى الليل والنهار في ما لا يرضي ربه ورازقه ،هل تعلم أن ما أنت فيه من نعم الله عليك، ولو لم ترعى حقها فستنقلب نعمك لنقم، وستصرخ من الألم ، وستفقد من تحب، ولا تهنأ بعيش السعداء ، لأنك ظلمت نفسك**

**ونسيت ، فلا رحمة تسعك ، ولا عطف ربك يشملك، حتى تذوق الوبال، وتعاني كالهوام ، فأنت قد نسيت ربك فنسيك.**

**(نسوا الله فأنساهم أنفسهم..... الآية)**

**(نسوا الله فنسيهم..... الآية)**

**فكما تمتعت ولهوت ولعبت وعصيت وفعلت ما يغضب الله، فلا رحمة لمثلك، فمع أن الله الرحمن الرحيم يمتلك الرحمة والمغفرة إلا إنه يغضب وينتقم ، فقد قطع يد السارق في بيضة، فهو لمن عصاه لا يبالي في أي جحيم سقط ، فالحياة لا تحتاج إلى تضييع لنعمها ، بل لاستثمار خيرها وما بها من نعيم وصحة وبنين لخدمة الدين ، ولوهب ذلك لرب العالمين راغب غير ساخط أو كاره ، فتضييع نعم الله فيما يبغضه لهي اللعنة القريبة ، والحرب الأكيدة من رب الأرباب ومنزل السحاب، فياله من رب رحيم بمن والاه وأطاعه وعاش يومه كله يناجيه ويذكره ويعبده في كل حال ، فلا يمنعه مانع عن ذكره ولا نعيم عن شكره ، ولا عمل عن حبه، فمن اقترب منه أحبه ، ومن أحبه أعطاه واجتباه ودافع عنه في سماه، ورحمه إذا ابتلاه، فلا يفضحه ولا يزجه في النار.**

**أما من أعرض عنه فهو من الهالكين في دنيا الأشقياء وفي نار الظالمين ، فما أحوجنا في تلك الحياة ووسط الأسقام والابتلاءات لرحمة الرحمن ولجنة العدنان التي من لم يدخلها في الدنيا ،فلن يدخلها في الآخرة ،ألا وهي عبادة الله وحبه وذكره، وأن تتمنى رضاه حتى يرضى عنك، فتتحول الحياة الدنيوية لحياة طيبة يكسوها الإيمان وحب الرحمن ، فهيا قم أيها الليث من كبوتك وعثرتك، هيا قاوم ضعفك ومرضك ،هيا لا تتوانى ولا تستسلم ،هل سترضى للكلاب أن تنهش لحمك ،لا فأنت الليث وأنت القوي، هل كبرت على الصيد؟**

**هل أقدامك وهنت وضعفت على الهرولة والقتال؟**

**أم أن برد الشتاء صار يتعبك؟**

**لا أنت أقوى من ذلك ،هيا قم من بين الثرى والعباب، وانظر إلى ذاك الغراب، هيا انظر إليه جيداً ،إنه ينتظر موتك ليأكل جيفتك التي كانت بالأمس القريب تخافها الفهود والنمور والضباع، هيا قم وانظر حولك ولا تتلكأ وتنام كالقط المريض ،لا أنت لست كذلك بل أنت في ظلمة الليالي وحر النهار لا تخشى الموت ولا ألف عفريت.**

**هل وهنت عظامك؟**

**أم شاب شعرك وانحنى ظهرك؟**

**لا أنت تظن ذلك ،بل ما زلت بين الوحوش سيد القطيع ،هيهات هيهات لعبراتك الساقطة على وجنتيك أن تعيد صباك، بل عزمك الذي يشد أوتارك الممزقة ويقوي ساعدك الذي أصبح كساعد شاة ضعيفة ،فيا لك من واهن وضعيف.**

**هل ستبقى هكذا بين القطيع تئن كالرضيع وتنام كالحمل الوديع؟**

**لا ليس هذا سمتك أيها السبع المهيب ،لا تترك مكانك للذئاب وللثعالب والكلاب ،لا تدع ثمة مرض ضعيف يسلبك مجد السنين ويغزو عرينك كالذباب، أنت أقوى من مرض هزيل لا يقارن بمكاسبك طوال السنين ،هل تذكر أيام الصبا يوم كنت في ساحات الوغى لا تخشى الدماء ولا مخالب تلك الضباع ،هل تنسى ماضيك الأسيل وإقدامك وسط النمور وبين أسد الغاب كلها بلا غطاء؟**

**هيا انفض عن جبينك هذا العناء، وقم ونادي أشبالك وسط الفضاء ،فلن يبكيك أحدهم ولا تلك اللبوءة التي نامت في**

**أحضانك وأكلت من خيرك طوال الأيام ،الكل سينسى أنك كنت الوحيد الذي كان لا ينام الليل حتى يطمئن على كل القطيع، لا لن يضيع ذلك الأمل الكبير في نهوضك من سباتك وسط أكوام العباب، فهيا قم ومارس حياتك دون ضعف أو بكاء، أنت لا تصلح للعويل أو النحيب أو الصياح، أنت البطل المفدى الذي لم ينهار أو يخور أبداً للصغار أو مكر قناديل النهار، قم ؛ نعم ؛ هكذا وانفض عنك هذا الوهن وهذا الضنى وهذا العباب، فلا يصلح لك هذا الركود بين الجياد، فأنت لست مثل الوعل الصغير، أنت قسورة الغاب وصاحب الناب العظيم، فهيا هرول وأسرع بين الفيافي والتلال، وارقض طويلاً فوق الجبال ،ولا تخشى المرض الهزيل فأنت أسامة والهضوم ،وأنت الباسل والهمام ،فلا تستسلم ولا تنام.**

**-بعد ساعة وصل عماد القاهرة وأخذ يسأل عن حي السبتية حتى وصل إليه وأخذ يسأل عن عمه عامر أو حسام ولكنه لا يعرف لهما أي عنوان سوى تلك المنطقة أو هذا الحي ،ومرت على عماد ثلاثة أيام وهو يبحث ويسأل والحزن يكلمه وبين الأزقة والأرصفة ينام ويجلس عماد حتى ناداه أحد الأشخاص**

وكان هذا الشخص يدعى مروان وهو صاحب محل خردة ،فقال له:

إني منذ ثلاثة أيام وأنا أشاهدك وأنت تسير من هنا وتجلس هناك وحالك لا يرثى له ،فقص علي قصتك وما هو شأنك؟

فجلس عماد والحزن قد طغى عليه والبحث أنهكه والغربة سائته، فقال له مروان:

سأطلب لك بعض الطعام أولاً، فمنظرك يرثى له، ثم قص علي قصتك ،فتناول عماد لقمة ثم ترك الطعام وانكب يبكي بكاء دفع مروان لأن يعانقه ويجفف عبراته، ثم أغلق المحل وأخذه لمنزله وقال لزوجته هيا أحضري بعض اللباس له وأدخليه الخلاء يستحم، فلما انتهى عماد من ذلك أجلسه مروان بجواره هو وزوجته وكان لا ينجب، فقال له:

هيا قص علي قصتك ،فإني أراك قد انحدرت من بيئة طيبة ،فقص عليه عماد قصته وهو يبكي وعبراته تنحدر منه كالمطر ،فعانقته زوجته وأخذت تمسح على شعره وهي تهدهده وتسكن ألمه ،فقد كانا له كمن شيد أكبر صرح وأفضل بناء ،فبناء نفس عظيمة تحتاج لجهد وبناء ماهر، فإن الآلام

**التي تعتري الإنسان ومعاناته تتمخض عن حياة ناقصة وفانية لا خلود فيها. فكيف تنتصر على آلامك دون أن تخور ،أو تبكي كالثكالى في وضح النهار؟**

**-فلا تنصت إلى أصحاب العاهات النفسية ،والعقول المريضة، ولا إلى كل كسول ومحبطٍّ ،فلو سمعت لهؤلاء ،وأنصت لهم، ستجد نفسك بين المجاذيب ،أو في القبور منتحراً، أو في السجون محبوساً، فمثل هؤلاء لا يتفوهون إلا بكلام السكارى ومنطق الضعف وبلسان الخذلان، فستجد في طريقك الناصح الأمين، والأب الحكيم، والأم الحانية ،والأخ المحب لأخيه، والصديق الصدوق، ولكنك تترك ذلك كله و تلهث خلف النفوس الميتة ، والطباع اللئيمة ، والسلوك الأهوج العفن، لأنك ترى نفسك في ذلك ،أو أنك لضعف شخصيتك تحب أن تكون مثل أهل السجون والإجرام والسلوك المنحرف ،لأن غيرك من أصحاب الأهداف السقيمة أراد منك أن ترى ذلك في مسلسلات رثة، أو أفلام تخاطب وتماشي السلوك البهيمي ،والغرائز الشهوانية، فطاقت نفسك لذلك ،وحين عميت نفسك عن رؤية أصحاب السلوك الإيجابي والتفكير السوي ذهبت لتبحث عن طريق الرجولة والفتوة والبطولة في شخص**

**ساقط ،أو لص قاطع للطريق ،أو قاتل محترف، ولكنك بهذا تكون قد وجهت توجيهاً لا نهاية له سوى السجن، أو الموت، أو الجنون ، فلا تنظر إلا للعظماء وأصحاب الإرادة القوية ،والنفوس الذكية ،فشاهد واسمع، وما أكثر المشاهد من أفلام ومقاطع مرئية وصوتية لأمثلة عظيمة ضربوا لنا أقوى الأمثال في قوة التحمل، وتحدي الإعاقة ،والتصدي للعجز والمرض، ستجد ذلك بكثرة على شبكات التواصل الاجتماعي، وبين دفتي الكتب، ومع الأب والأم والصديق الصالح والزميل الحسن ، فشاهد واتخذ قراراتك فوراً بأن تقوم من مرضك ، أو كسلك ،أو آلامك، فسترى بعينيك بعض النساء يقمن بما قام به الرجال من مصارعة وقتال مختلط، وألعاب قوة، وغير ذلك من أعمال شاقة لا يتحملها ضعاف الرجال ، فلا تترك نفسك لهواك ونفسك الضعيفة التي تركن للنوم وللكسل وللراحة، فهي جبلت على ذلك، وخلقت هكذا لا تحب الحراك ،أو الجهد الشاق ،أو التعلم ،أو تعرضها لما يتعبها ويوقظها ،فستقول لك نفسك:**

**هيا نم فالنوم أشهى من العسل ،أو تقول لك:**

**لماذا تتعب نفسك ونحن إلى التراب ذاهبون؟**

**ولكن عليك بأن تصم إذنك تجاه نفسك ،وهيا اسمع صوت عقلك وقلبك وجسدك، فكلهم يقولون لك بصوت مرتفع:**

**هيا قم؛ لا تستسلم للكسل؛ لا تنحني للمرض ؛لا أنت ما زلت فتياً ،هيا اقرأ عن حياة الأنبياء والمرسلين، وعن حياة الفاتحين، وانتصارات الأقوياء، ستجد عزم نبي الله نوح وصبره على قومه ،وتحمله لكلامهم السقيم، وسخريتهم المقيتة ،وتعنتهم الصارخ ،ولكنه رغم ذلك كله ،ورغم طول عمره مع قوم بلهاء لا يقدرون حكمة الحكماء ،ولا نصيحة الأنبياء فقد شيد سفينته على اليابسة وفي العراء، مع إنها فكرة شاذة كما نظر لها قومه نظرة قاصرة ،ولكنه أصر على فكرته ،وبنى سفينته، وحقق ما كان يشيده مع أنه لم يجني ثمار تعبه في دعوته لقومه ،ولكنه على الأقل نجا بنفسه وبمن معه على الفلك من الموت والغرق الأكيد ،ولو نظرت لموسى نبي الله عليه السلام وما عاناه مع قومه وقوم فرعون من عناد وكسر للإرادة وتحطيم للعزيمة ،إلا إنه واجه فرعون ومعه هارون شقيقه، وبعد رفض لطلباتهما وقتل للأبناء واستحياء للنساء، لم يمنع موسى من الوقوف أمامه رغم بطشه وجبروته ،ولكن إيمان موسى برب السماء والأرض**

أعطاه القوة والصلابة حتى أخذ بني إسرائيل وعبر بهم البحر، ولم يقتصر الأمر معه لهذا الحد، ولكنه وجد نفسه بين أناس قلوبهم أقسى من الحجارة وأصلب من الحديد ،فقضى معهم عمره كله يعلمهم ويرشدهم ويعالج نفوسهم الضعيفة حتى تركهم وهم كثرة وقوة تقدر على القتال والوقوف أمام أي جبار ،وفي التاريخ أمثلة على ذلك كثيرة، ولكن لا تمكث كثيراً أمام ذلك لفترة كثيرة دون تطبيق لما شاهدته أو قرأته أو سمعته ،فانزل لميدان المنافسة وقاتل نفسك بكل سلاح حتى تزعن لطلب عقلك ،فتخرج ما بداخلك من طاقات ، فتقف من جديد كالأسد في البرية تخافك الأمراض، الآن وأنت تشاهد وتسمع وتقرأ ،هيا تحرك وانفض تراب الكسل والمرض عن جبينك، ولا تعد إلى الوراء أبداً، فلا تتعجل النتائج واعمل دون توقف أو تقهقر، فقد يعتريك بعض الكسل ،أو الخمول ،أو الإعياء ،فتجد نفسك تتقهقر وتخلد للراحة وترك ما أقدمت عليه ، ولذلك لابد من ترتب لنفسك جدول أعمال، ورتب فيه أولوياتك، وامنح لنفسك بعض الوقت لتمارس فيه ما أقدمت عليه ،سواء كان هذا العمل رياضة؛ أو كتابة؛ أو دراسة؛ أو حرفة ما.

**ودع كل ما يشغلك عن هدفك جانباً ،وركز جهدك ووقتك في تحقيق هدفك ، ولو شغلت في أي يوم عن هدفك ،فلا تجعل ذلك الانشغال يبعدك أبداً عما أنت فاعله ،وذلل كل الوسائل والأدوات لتكون في خدمة ما تريد تحقيقه، ولا تتعجل النتائج ،وارسم لنفسك طريقاً لتصل من خلاله في أقل وقت ،فالخط المستقيم أقصر الطرق وصولاً وعليك بالصبر والمثابرة لتحقق هدفك ،فلا تجعل اليأس وطول الطريق يبعدك عما تصبو إليه ، فبهذا ستتحصل على ما تريده ،فالنفس بطبعها تريد اللعب والطعام والشراب والمشاهدة وغير ذلك من حياة أغلب الناس الذين ليس لديهم أي هدف، أو غاية، ولذا عليك أن تقوي من نفسك وتجعلها تعاد على حياتك الجديدة ،فالنفس كالطفل كما قال الشاعر:**

**(والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم).**

**فأصحاب الهمم والأهداف لا يخالطون من لا هدف له ،حتى لا ينال من عزمهم أو إرادتهم ،فالذي يعيش ليله مثل نهاره ،وجده أشبه بلعبه، لا تنتظر منه سوى الهزل واللعب وتضييع الوقت ،أما لو أردت أن تتزود بما ينفعك ويدعم هدفك ،فعليك**

بأصحاب الهمم العالية ومن حققوا نتائج عظيمة في حياتهم ،لأن ذلك هو الدافع الأمثل لتحقيق حلمك، فمن أراد أن يجني ثمرة يحبها من عمل؛ أو شهادة؛ أو مكانة؛ أو مستوىً معيناً فعليه أن يحدد كل ما يلزمه تجاه هذه الغاية وأن يختار الوقت المناسب لتنفيذ وسائله ،ولا تتعجل بقطف الثمار قبل أوانها فمن تعجل بجني الثمار قبل الأوان عوقب بالحرمان، وابذل الجهد والعرق وربما الدماء والمال للوصول لغايتك ،فلا تبخل بشيء من هذا، ولا تسرع في أول الطريق حتى لا تتعب وتقف في وسطه، فلابد من هذا كله حتى تصل لغايتك، فكل عظيم وقائد يتحلى بالصبر والثبات، ولا يتخلف عن متابعة ما حصله من أهداف ،ولكن أهم من ذلك كله المحافظة على ما وصلت إليه، وتحقيق مستوىً أفضل مما كنت تحلم به، فمهما ارتقيت وسموت، ستجد من يفوقك ويكسر رقمك القياسي.

-ذهب القاتل المأجور لعامر وحسام ليخبرهما بما تم ويأخذ منهما باقي أجره، وبعدما أعطوه باقي أجره سألاه عن تفاصيل ما حدث ،فقص عليهما ما فعله ولكنه لم يذكر لهما فرار عماد من بين يديه ،فذهبا معاً إلى القرية وقد كانا في دولة اليمن لينفيا عن أنفسهما ما حدث ،وبعد أسبوع عادا

**وقابلا القاتل وأعطياه حقه ومضيا للقرية لحضور التحقيق في النيابة والشرطة وبعد أسئلة كثيرة من الشرطة و النيابة لم توجه لهما أي اتهامات وبعدها أخذا المنزل والأرض وكل شيء.**

# {الفصل الرابع}

قام عامر وحسام ببيع الأرض والمنزل واشتريا بثمن ذلك كلاً منهما سيارة وقاما بعمل مشروع بهذا المال ،فأما حسام فقد شيد مبنىً من عشرة طوابق وباعهم وأخذ يبني غير هذا المبنى حتى صارت مهنته المقاولات وصار له شركة و الكثير من العمال، وأما عامر فقد قام بفتح محل لبيع الذهب حتى صار عنده ثلاث محال له، وصار لهما الاسم و المكانة وذاع صيتهما، أما عماد فقد نسي بحثه عن أشقاء أبيه ولكنه لم ينسى القاتل، فعماد كبر وصار عمره فوق العشرين عاماً، فقد رباه مروان وأحسن إليه في محله ومنزله وكان له هو وزوجته بمثابة أمه وأبيه، ولكن عماد لم ينسى منزله ولا أرضه ولا أسرته ،فاستأذن من مروان وكان يقول له يا أبي، فجلس معه في المحل وقال له:

يا أبي أريد أن أذهب لقريتي فإني أذكرها فدعني أرى داري وأرض أبي وأنظر ماذا حدث للدار وللأرض ،وأنت قد منعتني تلك السنوات خوفاً علي من أن يقتلني من قتل أبي وأمي

**وإخوتي ،فقال له مروان ذلك الرجل الذي تعدى الخمسين عاماً:**

**ستذهب يا عماد وسأذهب معك غداً، فلما جاء الغد ذهبا معاً إلى هناك ،فلما وصل عماد وجد كل شيء قد تغير ومعالم القرية تغيرت، فسأل عن منزله أين هو ،فعرفه أحد الناس لما اجتمعوا عليه وقالوا له:**

**أنت عماد بن محمود؟**

**لقد ظنناك قتلت مع أسرتك ،هذا هو منزلك لقد باعه عمك حسام وعمك عامر وباعا الأرض وكل شيء، وصار المنزل يملكه فلان بن فلان، فجلس عماد بجانب أحد المنازل وبكى بكاء أبكى جميع الحاضرين، فقال له مروان وهو يعانقه:**

**كفى يا عماد وهيا بنا ،فصرخ عماد قائلاً:**

**سأعرف من قتل أبوي وإخوتي ولن أترك دماءهم تذهب هباء فأخذه مروان من يده ومضيا سوياً إلى القاهرة والحزن يقتل عماد، فقال عماد لمروان وهو يقود السيارة:**

**لقد عرفت من قتل أبوي وإخوتي، فقال له مروان وكيف ذلك؟**

**فقال له عماد:**

إن عمي حسام وعامر وراء ذلك وسأصل لهما وأتيقن من أنهما هما من فعلا ذلك، فأنا أشك فيهما لأن جدي حسين قد كتب كل شيء لأبي وقد حرم عمي حسام وعامر من كل شيء ،فقال له مروان:

معك الحق في ذلك، فالحقد والحسد والتفرقة في المعاملة تفعل أكثر من ذلك ،ولكني أنصحك أن تترك هذا الأمر وتدع حقك لله ،فقد رزقك الله بي وبزوجتي، ألا ترى أننا مثل أبويك يا عماد؟

فدمعت عيني عماد ونظر له وقال:

لا والله لقد كنتما لي الأب والأم وكل شيء، ولكني لن أترك دماء أبوي وإخوتي تذهب هباء.

-مضى عماد في طريقه للبحث عن قاتل أسرته، فقد جعل وقته بعد عمله في محلات مروان للبحث عن ذلك، فعماد صار يعرف أصدقاء كثر هنا وهناك وكان له ثمة صديق يدعى سمير وكان من أوفى الناس وأفضلهم، فقص عليه عماد ما حدث له ،فقال له سمير:

**أنا سأجعلك تصل لهذا القاتل وتعرف من قتل أسرتك ،فذهبا سوياً لصديق لسمير يدعى بهاء وهو من ضباط الشرطة ،فلما ذهبا إليه وقصا عليه القصة كلها ،قال لهما:**

**سأجعلك يا عماد ترى صور القتلة الذين لهم عندنا سجلات سجلوا فيها ،فذهبوا جميعاً للإدارة وفتح له السجلات والصور ،فلما رأى عماد صورة القاتل جحظت عيناه وصرخ هذا هو من قتل أبوي وإخوتي؛ هذا هو ،فلما رأى ذلك رئيس الإدارة قال له:**

**تريث يا عماد وقص علي قصتك كلها ،فلما قص عليه عماد ما حدث له قال له:**

**اطمئن وسنفتح لك القضية من جديد بعدما حفظت ضد مجهول، فاستدعى الرئيس ذلك القاتل من السجن المتواجد به وواجهه بعماد، فجاء القاتل وقد ظهرت عليه علامات المرض وتقدم العمر، فلما رأى عماد القاتل وثب عليه وكاد أن يقتله لولا منعوه من ذلك ،فقال له الرئيس وهو يهدئه:**

**تريث يا عماد حتى نحقق معه وسنأتي لك بحقك، فجلس عماد وهو يتقد غضباً ،فسأل الضابط الكبير ذلك السفاح هل أنت من قتلت أسرة ذلك الفتى؟**

**فنظر إلى عماد هذا القاتل وقال:**

**لقد قتلت الكثير من الناس، فلا أذكر من هذا ،فقال له الضابط:**

**هذا ابن محمود الذي قتلته وقتلت زوجته وأولاده وهذا الولد الصغير وقتها الذي فرَّ منك ولم تقتله ،فقال القاتل وقد خارت قواه:**

**نعم أذكره فهذا الذي حطم حياتي، فمنذ أن فعلت ذلك وأنا في ذل وعناء ومرض وسجن ،نعم أنا من فعلت ذلك ،فقال له الضابط:**

**ولماذا فعلت ذلك ومن اتفق معك على ذلك؟**

**فقال القاتل:**

**لقد اتفق معي أخويه فلان وفلان وذكر أسماء غير التي يعرفان بها ،فقد ذكروا له أسماء وهمية من أجل ذلك اليوم وقال لقد اتفقا معي على قتله مقابل مبلغ من المال وقد فعلت ما طلب مني، ففتحت القضية من جديد واستدعوا كلاً من**

حسام وعامر لذلك ولكنهما أنكرا ما نسب إليهما ،وقالا بأنهما لا يعرفان ذلك القاتل وأن الأسماء التي يذكرها غير أسمائنا وأنهما كانا في اليمن وقت حدوث ذلك، ولكن النيابة أمرت بخروجهما لعدم ثبوت جريمة القتل عليهما، ولكن عماد رأى تلك الوجوه الوقحة فعرفهما وكتم انفعاله أمامهما لتيقنه أنهما من فعل ذلك، وقد ظهر كلاً منهما في صورة العم الحنون، فقالا له:

أين كنت يا عماد لقد بحثنا عنك كثيراً وأحزننا ما حدث لكم ولكنه قدر الله وما شاء فعل ،فأسر عماد غيظه في نفسه ولم يبدي لهما أي شيء وانصرفوا جميعاً ،ولكن عماد تتبع أثرهما وعرف مكانهما وأين عملهم ومنازلهم ومن أولادهما ،وأضمر عماد في نفسه أن ينتقم منهما في أقرب وقت ،ولكن هذا القاتل الذي فعل الجريمة الشنعاء ما زال في الحياة يعيش رغم قتله للكثيرين ،فالسجن لمثله رغم ظلمه من الظلم وانهيار المجتمعات ،فلو أن كل من قتل يقتل كما أمر الله وكما شرع لقضينا على هذه الجرائم من هذا النوع، ولما انتشر القتل بين الناس، ولكننا نضعهم في السجون ليخرجوا لنا أمثالهم من المجرمين، لتعم الجريمة والفوضى في بلادنا

**ويصبح القاتل والعربيد واللص وقاطعي الطريق من كبار المجتمع ومن ثوابته، فكل ثعلب عاث في المجتمع واستخدم مخالبه القذرة ليقتل بها ويفسد في الأرض ولا قاهر له، فله أن يكون من الأسود ومن علية القوم ومن أحسنهم.**

# {الفصل الخامس}

اجتمع عامر وحسام سوياً في جلسة سرية لينظرا في أمر عماد بن أخيهم محمود ،فجلسا معاً وتناقشا في أمره ، فقال حسام لعامر وهو قد تملكه الغضب بعد عودته من النيابة:

هيا يا عامر قل لي ماذا نفعل في هذا الذي ظهر لنا بعد هذه السنوات الماضية؟

فقال له عامر وهو لم يبدو عليه الاضطراب ولا القلق إزاء هذا الأمر:

سنقتله أيضاً يا حسام ونقتل هذا القاتل في السجن ،فقال له حسام في اندهاش:

أنت بهذا تزيد الأمر تعقيداً، فقال له عامر:

لا تخشى من شيء وسيكون كل شيء على ما يرام، فقال له حسام والقلق يساوره:

وماذا تطلب مني الآن؟

فقال له عامر:

**سأحتاج منك بعض النقود ولا تشغل نفسك بالأمر، فقال له حسام :**

**أما عن المال فخذ ما شئت ،ولكن لا تضعنا في ورطة كما وضعتنا الآن، فغضب عامر وقال:**

**أنا وضعتك في ورطة يا حسام ؛أنا من جعلتك من الأغنياء بعدما كنت من الفقراء وبعدما كنت لا تجد المال وتسأل هذا وتقترض من ذاك، فنظر إليه حسام في حزن وقال:**

**لقد كنت فقيراً ولكني كنت سعيداً، فأنا الآن أمتلك المال، لكني لا أمتلك الصحة، فكم عملية جراحية أجريت لي، ورزقت بثلاثة أولاد كلهم يعانون من إعاقة ذهنية، فما أغنى عني مالي من شيء؛ وأنت يا عامر هل تحس بسعادة بعد حصولك على الأموال الكثيرة، لقد تزوجت أكثر من امرأة وتذهب للملاهي الليلية كل ليلة وأولادك كل يوم في مشاكل ، فهذا هو عمر نجلك الأكبر يعاني من الإدمان والمخدرات وجعلك تنفق عليه المال الكثير ثم مات بعد كل ذلك ،فهل هذا الذي نعانيه من جراء قتل محمود وأولاده وزوجته يا عامر؟**

**فقام عامر غضباً وقال:**

**لا تكثر الحديث في هذا وهيا اعطني المال حتى نتخلص من هذا القاتل ومن عماد، فأخرج حسام من حقيبته دفتر الشيكات وكتب له ما أراد من مال وقال له:**

**سأترك لك التصرف، ولكني أحذرك من الخطأ حتى لا نذهب للسجن من جراء ذلك، فنظر إليه عامر وتركه وانصرف.**

**فلقد ذهبت الأخلاق عندما ذهب الدين ، إذ أنه لا أخلاق بدون دين ، فلقد حورب الدبن في كل العالم بشتى الطرق ومن أتباعه خاصة ومن أعداءه عامة ، حتى أصبحنا بلا دين يحكمنا ويتقدمنا، فها أنت ترى على الساحات المختلفة مهاجمة شرسة على الدين المتمثل في الأخلاق الحميدة والقيم النبيلة من مروءة وشجاعة وشهامة ونبل وتضحية وحب ، واحترام ورحمة بالكبير والصغير والمرأة والحيوان.**

**فيا من تبحث عن الاخلاق وتندد بكل فعل قبيح واغتصاب وقتل للفتيات وعري وفجور وبلطجة ، لا تغضب ، فأنت قد حاربت وعاديت الدين، ونـاديت بالعري ونبذ العفة والطهارة وستر الجسد.**

**لا تغضب لأنك خرجت بمسلسلات وأفلام ساقطة وماجنة على الناس فتعلموا منكم.**

**لا تغضب لأنك هدمت دينك بيدك، وهدمت أخلاقك ، وافتخرت بعريك وإظهار مفاتنك لهذا وذاك حتى تحصل على المال والشهرة والمجد.**

**أنت ستجني ثمرة بغضك للدين في أولادك وبناتك والأجيال القادمة.**

**ستنتشر الفواحش أكثر من ذلك ، وسيكثر الهرج والمرج ، وسيتلاشى التقدير والاحترام وستموت الأخلاق بلا رجعة ، فوقتها لا تبكي ولا تصرخ لأنك أنت من حاربت شرع الله وكتابه وسنة نبيه.**

**فها أنت لا قدوة لك ، ولا مرجعية لك في كتاب مقدس ، أو نبيٍ مرسل ، وقد مزقت في قلبك وحياتك ما ورد عن الله ورسله ، وضربت بذلك عرض الحائط ، وهرولت تلهث خلف الشواذ والعراة وأتباع "ماركس ولينين" وخلف كل عربيد وساقطة.**

**فهل كان من السهل عليك نبذ وتهميش ما ورد عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعصيانه والإطاحة بأوامره ونواهيه بحجة إعمال العقل وأن ما أنزل الله لا يتناسب مع هذا العصر.**

**لقد أخطأت والله حينما ظننت أن الله لا يعلم ما سيحدث في المستقبل إلى قيام الساعة ، فالله أعلم بخلقه وبما ينفعهم وما يضرهم حين نزول القرآن وبعده بألاف الأعوام.**

**فهل عدم العفة من التحضر؟**

**هل تعرية الفخذ وإظهار الثدي والبطن والظهر للمرأة من التقدم والازدهار؟**

**هل ممارسة المرأة للزنا والشذوذ والرقص من التقدم والتحضر؟**

**هل أنهينا مشكلة البطالة والمرض والإدمان والمخدرات والشذوذ والزواج والطلاق والقتل والفقر حتى نبحث عن غطاء الرأس والحجاب وعفة المرأة حتى نحارب الطهر والعفاف والحشمة والوكار؟**

**إن بلادنا مفعمة بالأمراض والمنغصات والهموم والأحزان والقلق والخوف والموت والمعاناة ومشاكل لا حصر لها ، فهل أنهينا وانتهينا من كل مشاكلنا حتى نبحث هل الحجاب ضروري للمرأة أم لا؟**

**يا سادة من الذي يقول أن الحجاب قد فرضه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أم لا من الناس ؟**

**هل يفتي في ذلك العراة والراقصات ومن يخرجون على الشاشات ويقبلون بعضهم بلا أدنى حياء يذكر؟**

**هل يفتي في الدين من لا تحفظ حتى ربع القرآن ولا يفرق بين النحو والصرف ولا الناسخ والمنسوخ ، ولا يفرق بين المحكم والمتشابه، ومن لا يفقه في حديث ولا أصول فقه ولا ما هو المناط العام أو الخاص ولا أسباب التنزيل ولا أي شيء في الدين ، بل لا يكاد يعرف معنى بعض الكلمات العربية، ولو سألته ما هي شروط الصلاة ما استطاع أن يجيبك ، ثم تراه يتكلم عن الله ورسوله بلسان بذئ وبعدم فهم ويتهكم ويستهزئ بما أنزله الله من آيات ومن أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولا يعلم هؤلاء أنهم باعوا دينهم من أجل غيرهم ،لأنهم ينفذون مخططات أعداء الله ، فأعداء الدين**

**والفضيلة والأخلاق يريدون المرأة المسلمة والعربية والشرقية عارية وتفعل ما يريدون منها بأي مقابل ، لأنهم يعلمون أن المرأة لو سقطت في الوحل والرجس والقذارة كما نرى الآن، فسيسقط كل من تربيهم.**

**وها نحن نرى تلك النماذج من جيل التيك توك والإنترنت والفضائيات. فلقد خرج علينا هذا الجيل الذي جاء من رحم العري وتنحية الدين ليخرج علينا بتلك الملابس التي تشبه لباس الشياطين وبقصات شعرهم اللعين ، وخرجت الفتيات لتبرز مفاتنهن دون حياء أو خجل يذكر مع ترديد الأغاني الخليعة والماجنة ليل نهار ، حتى أصبحنا نرى هؤلاء بلا صلاة ولا دين ولا أخلاق.**

**فأنا أقرُّ وأعترف أن أعداء الأديان والأخلاق قد نجحوا في إخراج جيل بلا هوية أو دين أو أخلاق.**

**فيا أتباع "لينين وماركس" ، يا أتباع الإلحاد وبغض الأديان هلاّ بحثتم عن حل لمشاكلنا الأصلية التي لا نجد لها من حل؟**

**هلا تركتم نسائنا ولباسهم وأصلحتم أنفسكم ؟**

**يا أتباع إبليس اللعين كفى؛ كفى لقد خربتم عقول وقلوب وحياة أولادنا وبناتنا حتى نسائنا.**

**والله سنظل نبكي ونشجو ونستنكر مما يحدث في بيوتنا وشوارعنا من شجار وقتل وسرقة واغتصاب وغير ذلك ما دام أصحاب وإخوان الشيطان يتحكمون في الإعلام والقنوات والبلاد.**

**والله لن ننعم بحرية ولا مساواة ولا سعادة ولا أخلاق ما دمنا في بعد وحرب مع الدين ، لأن الدين هو منبع الأخلاق والعفاف والحشمة والوكار والشهامة والشجاعة والمروءة والصدق والعدل والحب والإخاء.**

**أما ما يريده إخوان الشيطان وكلاب العري والإباحية و خنازير المادية ودعاة الزنا والخنا ومشجعي الرقص والطبل والخمر وكل ما يبغضه الله فلن يدوم لأن الناس يوماً سيستيقظون من سباتهم العميق ، ويعرفون أن هؤلاء الشرذمة الذين كانوا يخرجون على الشاشات ما هم إلا كلاب الإباحية والشذوذ ومن أنصار الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا وفي كل العالم، وما هذا عن كل عاقل وفقيه ببعيد.**

-لم يترك عماد الأمر يمضي هكذا ،ولكنه فكر ودبر مع صديقه ومع الضابط في أن يوقعهما بطريقة ما ،ولكن عماد أراد غير ذلك ،فعماد يريد أن ينتقم لأبيه وأمه وإخوته ويقتل عمه حسام وعامر، فأخذ عماد يراقب منزلهما وعملهما عن كثب، حتى علم عنهما كل شيء ،فقد علم عدد أولادهما ومن هم وأين يذهبون وكل شيء عنهم، ولكنه رأى أولاد عمه حسام كلهم معاقين وحالهم لا يسر ولا يستدعي الانتقام منهم ،ورأى أولاد عمه عامر، أحدهم قد مات والآخر في السجن بسبب قتل أحد زملاءه في الجامعة وأما البنت الوحيدة السليمة فقد راقت لعماد ،فقال في نفسه هذه التي يكون انتقامي منها وأجعل عمي عامر يتحسر عليها ،فهو كما علمت من اتفق على قتل أسرتي، وأما عمي حسام فقد انتقم الله منه في أولاده ولن أتركه هو أيضاً ،فذهب عماد خلف هذه الفتاة، فوجدها في الجامعة وفي السنة الثالثة لها، وكانت جميلة وذات ملامح جذابة ، فلما راقبها عماد وأراد أن يصادقها جعل ثلاثة من أصدقائه يتحرشون بها في مكان خال من الناس ،وهي تدافع عن نفسها وقد انهارت من البكاء، فجاء عماد وادعى ضربهم حتى فروا منه ،وكان عماد أيضاً يمتاز بالجمال والملامح

**المميزة التي تشبه الملامح الأوروبية، فأعجبها شجاعته وحسن هيئته ،فكفكف دموعها وهدأها وسار معها يمازحها حتى ابتسمت، فقال لها:**

**ما اسمك:**

**فقالت له:**

**إسمي هاجر وأنت ما اسمك؟**

**فقال لها عماد:**

**إسمي سعيد ،ولم يرد الإفصاح عن اسمه الحقيقي لما يونيه من شر بها، ولكنه بعدما أوصلها وقد أخذ رقم هاتفها لم يزل يفكر بها ولم تفارق صورتها خياله ،فلما ذهب لأبيه الروحي مروان وجده قد أعياه المرض فقد اشتدت أوجاعه، فهو يعاني من فشل كلوي وصحته قد تدهورت وبدأت قواه تخور فإن أعظم ما في الحياة لا يعرفه إلا من فقده، ولا يحسه إلا من حرم منه، إنها الصحة يا سادة، الصحة وكفى، فتلك النعمة لا يعرفها سوى المرضى، فلو خيّرتَ أحد المرضى بين ما في الأرض من ذهب ومال وبين صحة كاملة لاختار الصحة وكفى، فبدونها لا حياة ولا متعة ولا فرحة ولا عيشة هنيئة،**

بل فاقدها يرى ظلاماً وبؤساً، ويحس بموت قلبه وفقد روحه، ولولا أن الله جعل المرض به بعض الألم وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى، ولو دام الألم مع المرض لكان الموت السريع لهذا المريض من شدة ما يلاقيه من ألم ووجع، فما أجهلنا بتلك النعمة العظيمة، وما أبعدنا عن شكر الله على الصحة والعافية التي ينساها أكثر الناس عندما يتذمر أحدهم ويكفر سخطاً على الله لفقر مادي، أو حرمان من ولدٍ أو ضيق في عيشة، ولكن من يعرف قيمة هذه النعمة وعظمتها لا يهتم لما سواها من عطايا حتى مع الحرية التي تساوى الكثير أيضاً مثل الصحة، ولكنها لا توازيها ولا يوجد مع الصحة ما يوازيها لذا فعلينا بالحفاظ على تلك النعمة بشكرها وعدم تضييعها في ما يضرها من طعام سيء أو شراب ممرض مميت، أو تعاطي أي شيء يقتل الأعضاء والأجهزة الجسدية دون حاجة لذلك، فقد يظل المرء سنوات عديدة في مستنقع الدخان والمخدرات أو شرب الكحوليات والعادات السيئة الجالبة لأمراض مستعصية ويصعب شفاؤها وهو لا يهتم بنفسه ولا صحته، ومن الناس من يُمرض نفسه بأفعال محرمة ومعدية بل في أغلب الأوقات تكون قاتلة، ولكنه يفضل

**المتعة اللحظية والسعادة الوقتية على صحته، ولكن هذا أو ذاك مع مرور الوقت ترى أحد الأمراض يهاجمه بشراسة أو قد يجمع جسده مرضين أو ثلاثة، فيندم ويصرخ ويئن ويضجر ويقول بأي ذنب حدث لي ذلك؟ وينسى أنه هو من أهلك نفسه وأنه هو من أمرضها وجلب لنفسه الأوبئة والمرض بمحض إرادته وبما أراد، فلو أكل المرء وجبة في اليوم ونام في العراء، والتحف بورق الشجر وتوسد ذراعه، ولم يرى في الحياة أي ولد أو ثروة أو متعة سوى الصحة لكفت، فكم يتمنى كل مريض أن يعود لصحته ولقوته وبعدما يعود سرعان ما ينسى ويطغى، فهل حافظنا على هذه النعمة واستخدمناها في مواضع الخير وما خلقت له، وتجنب مواطن المرض، فجل المرض نحن من نتسبب فيه، وإلا فما يمرض البطن سوى سوء الطعام وسوء التغذية الصحيحة؟ وما يمرض الكبد والكلى سوى ما نتناوله من شراب وطعام ردئ وسيء وما يقع على الجسم من لحوم فاسدة أو طعام ملوث أو شراب مسرطن وعقاقير مفسدة لأعضائنا، فوجب علينا أيضاً أن نحفز عضلات الجسد بالرياضة أو بالحركة وأن لا نفرط في تناول الطعام ولا السكريات ولا ما يمرضنا من ذلك**

كله، حتى نعيش حياة جميلة وسعيدة فما أحلى من الصحة والعافية في الدنيا.

-جلس عماد في المنزل بعدما اطمأن على حال العمل وعلى العمال فأراد أن يخفف عن مروان ما به، ولكن مروان قاطعه وقال له:

يا بني دعك من الانتقام فلن يغن عنك شيئاً وسيلقي بك في التهلكة، ودع الله ينتقم لك، فما ضاع حق مظلوم أبداً ،فالله تعالى توعد بالقصاص لمن قتل مظلوماً يا عماد ،فقال في كتابه العزيز:

(ولمن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً)

فالله لا يضيع حق من ظلم، وقد أخبرتني يا عماد أن أشقاء أبيك قد انتقم الله منهم في أولادهم وسينتقم الله منهم في أنفسهم ومالهم عما قريب، فقال له عماد:

ولكني أريد أن أتشفى فيهما وأقتلهما بنفسي ،فقالت له أمه الروحية وكانت امرأة طيبة القلب تحب عماد فهي لم تنجب وعماد كل حياتها هو ومروان:

**يا بني دعك مما يدور في خلدك ودع الملك للمالك، فهو المتصرف في خلقه ومنتقم لكل مظلوم، والله تعالى يقول:**

**(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)**

**ثم قال له مروان:**

**كيف حال العمل، فهل انشغلت عنه أم كيف يسير؟**

**فقال له عماد:**

**كل شيء يسير على ما يرام يا أبي، ولن يشغلني هذا الأمر عن العمل الذي وهبته لي لنعيش منه سوياً ،فهو مصدر رزقنا ولن أهمل فيه ،وهذا هو إيراد هذا الشهر قد حصلته اليوم ، فقال له مروان وهو ينظر للخزانة:**

**ضعهم يا عماد في الخزانة لحين أن تضع المبلغ كله في البنك غداً إن شاء الله، فوضعهم عماد في الخزانة ومضى لغرفته.**

# {الفصل السادس}

-ذهب عامر لأحد المجرمين ومن يسامره كل ليلة واتفق معه على أن يقتل هذا القاتل في السجن وعلى قتل عماد بن أخيه، فوافق هذا المجرم وأخذ المال منه وهما يتناولان شرابهما ويثملان.

-فذهب هذا المجرم بعد ساعات واتفق مع أحد السجناء أن يقتل هذا القاتل في سجنه مقابل مال له، فلم تمضي ساعات حتى قتل هذا السفاح في سجنه ،فتحركت مصلحة السجون للتحقيق في ما حدث ومن خلف ذلك، ولكنهم لم يشكوا في أي أحد من الخارج ،لأن قتله دبر على هيئة معركة وشجار فيما بين السجناء، وقد حفظت ضد مجهول، ففرح عامر وحسام لذلك واجتمعا سوياً وقال عامر:

بهذا يتبقى عماد ونكون قد انتهينا من هذه القضية للأبد، فقال حسام وهو قد اختفت لديه الفرحة وبدأ يرتجف ويمرض نفسياً لأنه بدأ يظهر له شبح محمود في منامه فزاده خوفاً على خوف ،فقال:

والله لن نهنأ بفرح أبداً ولن نشعر بسعادة بعد الذي اقترفناه، فقال له عامر وكان قاسي القلب لا يتعظ ولا ينزجر:

ماذا اقترفنا يا حسام؟

أليس حقنا وقد استعدناه من أخينا بعد أن ظلمنا؟

فنهض حسام وهو ينظر لعامر وقال:

على كل حال أخبرني بما سيحدث ولا ترتكب أي خطأ ،فانصرف حسام وترك عامر ليتصل بالقاتل الآخر ويعلم منه متى سينفذ ما كلف به، فأخبره أن الليلة سينتهي من هذا الأمر ،فاستدعى الضابط عماد هو وصديقه وحذره مما يكاد له، فقال له:

لقد علمت من مصادر موثوقة بأن من قتلوا أسرتك هم من قتلوا القاتل المأجور في السجن ،وينون قتلك أيضاً، فكن حذراً منهم ،فقال عماد:

سأكون من اليقظين دوماً إن شاء الله.

-واعد عماد بنت عمه هاجر التي كان يدعي أمامها بأنه أول مرة يعرفها بلقاء بالقرب من جامعتها، فاتفقا هاتفياً على اللقاء، وما إن اجتمع معاً حتى بدأ عماد في الحوار معها

وأحس بداخله بحبها رغم ما يكنه لها ولأبيها من بغض ،إلا أنه أعجب بها وبمنطقها العزب وبجمالها الخلاب ،فهي أشبه بحوراء فيحاء خرجت من جنة أو من بحر قد فاض بعرائس جميلات لا شبيه لهن، ولكن هذا الجمال وهذا الإعجاب من عماد لم يطول، ولا أذن لحبهما أن يدوم ،فقد جاء القاتل من بعيد بدراجة بخارية ومعه رفيقه، ولما رأى القاتل عماد على المقهى لما يتراجع ولم يراعي مخافة على أحد آخر ،فأخرج سلاحه الآلي ووجهه تجاه عماد على بعد عشرة أمتار وسارع في إطلاق النار نحوه، ولكن عماد كان حذراً ،وكان شغله كله في هذا القاتل ،فلما لاحظ وقوف الدراجة البخارية بالقرب منهما وأيقن بأنه القاتل، فأخرج سلاحه من جعبته وطرح نفسه على الأرض ومعه هاجر ،ورد على إطلاق النار بمثلها فقتلهما، ولكن هاجر أصيبت بالقرب من قلبها ،فاجتمع الناس حولهم ،ولكن عماد لم يشغله أي شيء سوى إنقاذ هاجر ،فاتصل بالإسعاف ،ولكنها تودعه، وستلفظ أنفاسها الأخيرة بين يديه، فقالت له:

أنا أحببتك ،فقال لها عماد:

وأنا كذلك، فقالت له وقد اقتربت خروج روحها:

**سأموت وأنا فرحة الآن ،فلم أجد السعادة إلا معك، ثم لفظت روحها وماتت بين يدي عماد، ولم تمضي دقائق حتى جاءت الشرطة والإسعاف ولكن بعد فوات الأوان، فلما علم عامر بما حدث جاء إلى المشفى ليراها، فلما وجدها هكذا ووجد عماد بجانبها تعجب وقال للضابط من فعل ذلك؟**

**فقال له:**

**إنهما قاتلان مأجوران وكانا يريدان قتل عماد ،ولكنهما قتلا ابنتك وعماد قتلهما، فقال عامر متعجباً وهو يمسح رأس ابنته ويضمها إليه:**

**وما الذي جمع عماد بهاجر؟**

**فقال له الضابط الذي يعرف عماد:**

**يا حاج عامر لقد أحبت ابنتك ابن عمها عماد وكان هو المقصود ودافع عنها بقدر المستطاع ولكنه القدر الذي جعل القاتل المأجور يقتل ابنتك وينجو عماد ،فلا تتعجب إنه قدر الله وما شاء فعل ،فانهار عامر بعد وصول شقيقه حسام وقال:**

**لقد فقدت كل أولادي يا حسام ؛لقد فقدت ابنتي التي كنت أحبها ،ماذا فعل المال لنا؟**

**فأخذ حسام يهدئه وهو يصرخ ويصيح كالنساء الثكلى ،ولكن الذئاب لا تتعظ ولا تصبح يوماً ما مثل الحملان، فطبع الثعبان لا يتغير ،ولا يتحول من ثعبان لدجاجة نافعة تبيض وتفرخ وتنفع الناس ،فجبال الجن لا يدخلها سوى الخنزير و الخفافيش وظلام الليل ،فمنظر الربيع لا يحس به ولا يتذوق جماله من تربى على الطمع والغيرة والكبر والتعالي المزيف وقوة الشيطان التي تنفث في روع كل جاحد وحاقد وحسود.**

**-استدعى الضابط المسؤول عن القضية كلاً من عامر وحسام وعماد ،فذهبوا جميعاً لقسم الشرطة وكان هناك ضابط المنطقة والضابط الذي يعرف قضية عماد، فلما أوقفوهم كلهم أمامهم قال الضابط المسؤول عن القضية:**

**لقد علمنا أن هناك من يريد قتل عماد منذ قتل القاتل المأجور في السجن ،فمن خلف هذا القتل الذي استهدف عماد وراحت ضحيته هاجر يا عامر وأنت يا حسام؟**

فتلعثم حسام وقال أنا لا أعرف عن ماذا تتكلم ،وقال عامر بصوت أجش:

يا حضرة الضابط أنا ابنتي قتلت ،وأطلب حقها، فعن ماذا تتحدث الآن؟

فقال لهما الضابط المسؤول:

أنا أقصد أنكما على علم بهذا، وأنكما أنتما خلف كل هذا ،فنهض عامر وقال له:

أنت تتكلم بدون دليل حتى، فهل أعتبرك توجه لنا تهمة قتل أحد ما؟

فقال الضابط بهدوء:

سوف أثبت تورطكما في كل هذا عما قليل، وعلى كل حال، لك أن تذهب لتأخذ جثمان ابنتك الآن، وسنتقابل عما قريب إن شاء الله.

-مضى عامر وحسام للخارج ،وعماد كان يجلس وعليه غمامة حزن وألم مما حدث ،فهو لم يكن ليقتلها أو يساعد في قتلها بمثل هذه الطريقة أبداً، فقال له الضابط وهو يواسيه:

**هون عليك يا عماد ،فلولا أن أخبرناك لكنت قتيلاً الآن مثلها، ولكن قل لي يا عماد، ما الذي جمع بينك وبين القتيلة رغم أنك تبغض عمها ويبغضونك؟**

**فأنكر عماد معرفته بأنها ابنة عمه وقال:**

**لم أكن أعرف ،ولكني تعرفت عليها بالأمس وواعدتها اليوم لأتعرف عليها أكثر، فقد أعجبت بها ودخلت قلبي من أول ساعة عرفتها ،ولولا أن الله كتب لي البقاء لكنت معها الآن بين الأموات، فقال له الضابط الآخر:**

**لك أن تنصرف الآن فأنت كنت تدافع عن نفسك ، وغداً ستحضر في النيابة وتشرح كل شيء كما كان وكما وضحناه في محضر الشرطة ،ولا تقلق بعد الآن، لأننا سنكون بجوارك الأيام القادمة، لأنهم سيحاولون قتلك ثانية وثالثة، ولكننا سنمسك ذلك الخيط الذي يدينهم عما قريب.**

# {الفصل السابع}

انتهى عامر من دفن ابنته هاجر وأنهى العزاء بكل انكسار ونفس قد خارت ،وبعد ما انتهى ذهب لمن كلفه بقتل عماد ودخل عليه محله وهو قد ثمل من كثرة تناوله للمسكرات، فأمسك عامر بتلابيبه وقال له:

لماذا قتلت ابنتي؟

لماذا بعثت من لا يحسن القتل والضرب؟

فثال الرجل وهو يرتجف:

أنا بعثتهما لأنهما من أمهر الناس ،ولكن هذا الولد كان أمهر منهما، وما كانا ليقتلان ابنتك ابداً لولا هذا الولد الذي دفع ابنتك في مرمى النار ولم يبالي بقتلها ،فقال له عامر وهو يخرج السلاح الناري من جعبته:

أتكذب حتى تنجو بنفسك ،هيا انطق الشهادة حتى تلحق بهم جميعاً ،وقبل أن يطلق عليه النار دخل أتباع هذا الرجل فجأة ،فأطلق عامر عليهم النار وعلى هذا الرجل ،ولكن بسرعة

وبعدم اتزان ورويَّة ،ثم انصرف مسرعاً نحو الخارج ،وذهب لحسام وهو يرتجف ،فقال له حسام:

ماذا حدث يا عامر؟

أي شر جلبت لنا؟

فقال عامر وهو يمسك سيجارة ويشعلها:

لقد قتلت هذا الرجل الذي قتل ابنتي ،فانتفض حسام وقال:

مصيبة أخرى يا عامر؟

وبينما هما كذلك جاءت الشرطة وقبضت عليهما، وهناك في قسم الشرطة كانت المفاجأة، فالثلاثة الذين أطلق عامر عليهم النار لم يموتوا كلهم ،بل مات من دخلا على عامر وعلى القاتل الثمل، ولكن القاتل الثمل لم يمت، فقد أصيب في بطنه وذراعه ،ولما توجهت الشرطة نحوه وقبل أن يموت نطق بكل شيء، وأخبر الشرطة بما حدث، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ليوضع عامر في السجن بتهمة القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد والشروع في القتل ،وقتل أكثر من شخص، فدخل عامر وحسام السجن ليدخل حسام مع ابنه نفس السجن وهناك وبعد شهر قامت مشاجرة بين بعض السجناء الذين

كانوا ينتمون للقاتل الأخير ،فافتعلوا مشاجرة، ثم قاموا بقتل ابن عامر وإصابة عامر وقتل حسام.

-فالإنسان يحب نفسه حباً جماً ولا يفضل على نفسه أي أحد من الناس ، لأن الإنسان قد جبل على حب نفسه ، ولكن الطامة الكبرى أن تجد من يقتل نفسه ويعذبها ويتفنن في إيذائها والنيل منها بشتى الطرق ، فتراه يفعل ما تستحي البهائم من فعله من تدخين للسجائر والمعسل وتعاطي الأقراص المسكنة والمخدرة وربما تناول الكوكايين والهيروين والمخدرات التي تذهب العقل وتقتل النفس وتأتي على الجسد فتدمره وتجعل منه جسداً خاوياً لا يقدر على العمل ولا الانتاج ولا تربية الأسرة ورعايتها وتنشئة الأطفال تنشئة سليمة وهذا كله بدعوى النسيان والهروب من الواقع والتباهي بتعاطيه تلك الآفات بين أقرانه وكأنه دخل الموسوعة القياسية في بطولة ما أو فعل بعض الحركات الخارقة للعادة مثلاً ، ولكنه في الحقيقة يقتل نفسه ويبغض نفسه ولا يحبها ، فلو كان يخشى على نفسه ما أدخل عليها هذا العفن وتلك القذارة التي تأتي على المعدة فتقرحها وعلى القلب فتتلفه وعلى الرئة فتشرنقها وعلى باقي الأعضاء

فتهلكها ، ومن الناس من يفعل غير ذلك من فواحش ومنكرات لا يحبها الله ورسوله ولا الناس ذوي الفطرة السليمة ولا نفسه اللوامة ، فينكب على الشهوات فيلهث ورائها كالظمئان ويستيقظ والشوق يقتله لفعل الفواحش كالسكران ، ويهلك ماله ونفسه ليل نهار حتى يجعل من نفسه ذلك الهلفوت أو الصعلوك فيتململ في وحل أدرانه وأوحاله ، فهيهات لذلك الكائن أن يكون من الرجال أو يربي أولاده على الفضيلة وشيم الكبار ، بل هناك من يترك لنفسه الحبل على الغارب لتفعل ما تشاء من دنس وأشياء تستحي منها القطط والكلاب من فعلها فتراه يسير في الدنيا بغرائزه وشهوته ونزواته الرخيصة فيسرع خلفها ويرتمي في حضنها كالجرو الصغير فيلعق من تربة مفعمة بالميكروبات وما يمرض البدن ويبتعد كل البعد عن سبب وجوده وعلة خلقه ، الا وهي العبادة لله الواحد الأحد ، فيظن أنه في الدنيا من الخالدين أو أنه ضمن الجنة أو الموت على الطاعة ، ولم يعي ويفهم أنه في أقل من ثانية تأتيه المنية فيلقى ربه على ما عاش عليه من طيب أو خبيث ووقتها لا تنفع العودة ولا التوبة ومهما صرخت وتعالت صرخاتك فلن تجدي ولن تنفع ، فإن كنت تحب نفسك وتخشى

عليها من العذاب والحرق والذل والخذلان ، فهيا عد لربك قبل أن يفوت الفوت وتبلغ الروح الحلقوم وتقول رب ارجعون ولكن دون جدوى فلن تعود ، إن سعادة النفس البشرية ليست في شهواتها ولا ملذاتها ولكن السعادة الحقيقية في رضا الرب سبحانه وتعالى وفرحة النفس ولذتها في طاعة وعبادة الله ، فكم من مشهور ومعروف وصاحب مال وسلطان ندم على كل حياته وتمنى أن يكون من السعداء، فرغم ماله وشهرته ومجده ما حس بالسعادة طرفة عين ، فها هي "مرلين مورلو " ممثلة أمريكية كانت تلقب بمثلة الإغراء ، فقد بلغت من الشهرة والترف والمجد والغنى مبلغاً ولكنها تموت منتحرة وقد كتبت رسالة قبل انتحارها قالت فيها ما معناه: (يا ليتني كنت طاهية في بيت زوجي؛ يا ليتني كنت منظفة لثياب عائلتي يا ليتني ما خرجت للعمل وللشارع كالرجال...)، والأمثلة كثيرة ممن ملكوا المال والجاه والناس ولكنهم يموتون بأيدي أنفسهم صرعى وهم يبحثون عن السعادة ، فمن عاش في كنف ربه وفي ظل مولاه ويسجد ويركع ويخضع ويتضرع له طالباً منه الصفح والغفران ليل نهار في ذل وانكسار نال السعادة من أوسع أبوابها وسار بين

**الناس وهو يحلق كالعصفور بجناحي التقوى والحب لله ، ألم تسمع عن رضا يوسف النبي وهو في الجب وسعادته بسجنه دون الوقوع في الفاحشة ، فلو رضي بمضاجعة النسوة لكان من الأذلين وحاشا لنبي الله يوسف ولكنه تفل على شهوة لحظية ومتعة وقتية لينال الرفعة المستقبلية والعلو المزدهر بعكوفه عن بيت الرذيلة وتطلعه لرضا مولاه ، فيكون السجن له خلوة وجنة ليخرج من سجن حوله لجنة ليكون عزيز مصر أما لو رضي بالدنية والرذيلة لعاش طوال عمره من العبيد في قصر العزيز ولكانت نهايته بالقتل أو بالسجن أيضاً للخيانة والتجريء على زوجة العزيز ، فاستحق بعد ذلك لقب العزيز وعيش الملوك ونصر الأنبياء ليتزوج زوجة العزيز عن عزة وفي رضا الله ، فالمتأسي بغيره والمتعظ بمآسي الناس يعرف أن اللهث خلف المنكرات والفواحش والرذيلة يتعب البدن والعقل ويهلك المال والجهد والصحة والوقت ويأتي على البيوت بالفناء والوباء والخراب ، فترى حال ذلكم المسكين المبتلى لا يستقر له حال ولا يهدأ له بال، فأمره قد شتت وفكره قد بعثر ولا يمكث في عمل ويشتكي من الحاجة ولا يجد ما ينفقه ، فتراه والمعاصي قد ظهرت على وجهه**

وبغض الناس يطارده حتى أقرب الناس له وذلك لأن الله كرهه ومقته ، فاستحق اللعن والبغض في الدنيا والعذاب في الأخرة إن لم يتب.

عاش عامر ليتحسر على أولاده كلهم ويظل وقد فقد إخوته وأولاده وحياته وماله وكل ما سعى إليه وقاتل من أجله ،وفي يوم عقيم وفي الفجر قاموا بجلبه لينفذوا فيه حكم الإعدام، ولكنه قد عدم قبل إعدامه وقتل قبل ذلك ،فقد مات بموت أخيه وأسرته، فقد مات بموت نفسه وقلبه وكفره بقدر ربه ،فما للظالمين من أنصار ،كما قال الملك الجبار، وورث عماد ما ترك عامر وأولاد عمه حسام وزوجته، لأن عامر فقد أولاده ولم يكن له زوجة ولا وارث له، وأما حسام فقد ترك زوجة مريضة وأولاده بلا عقل أو إدراك، فنصب عماد واص على أموالهم، وأما عماد فقد حقق له الله ما تمناه وما كان يرجوه ،فقد مات وعذب من قتل أسرته وأخذ جزاءه عطاء حساباً.

فنحن نعيش حياتنا الدنيا وما أحقرها من حياة ،فالبصير الفطن يرى أن الدنيا زائلة وفانية ،وأنها مثل قنطرة نعبر عليها لحياة باقية وأبدية وخالية من التعب والمرض والهم والحزن كما في حياتنا الدنيوية.

**فالدنيا مفعمة بالأمراض والمنغصات والهموم والأحزان والقلق والخوف والموت والمعاناة والحر والبرد والحشرات والشوك والحيوانات الآدمية التي لا ترعى فيك إلاًّ ولا ذمة.**

**فالدنيا لا راحة فيها ولا سعادة في أيامها ،فقد تسُّرك بعض الساعات وتسوؤك عشرات الأيام ،فهي مثل امرأة عفنة لا دين لها تتلاعب بك يمنة ويسرة حتى تخلع عنك صبرك و استقرارك.**

**وهي دار الأغبياء والسفهاء ومن لا عقل له ،لأنه لو عقل لعلم أن هذه الحياة المتقلبة التي لا تتعدى مائة عام لكل من عاش عليها لا خير فيها ولا سعادة في أيامها ولا لياليها القاتمة التي يعيش فيها الكثير من المرضى يئنون ويتوجعون، وبين فقد وفراق ولوعة واشتياق وغربة يحي فيها الناس، فالليل يأتي بحال والنهار بحال ومن شهر لشهر تتبدل الأحوال وتتبدل السعادة بالأحزان والأفراح بالأتراح ،والسكينة بالقلق والاضطراب والضجر، فيالها من عدو قاسٍ وعنيد ، ويا لها من حياة هوجاء فرحها هباء وحزنها بلاء ،فلا عيش فيها ولا سكن فيها.**

**هل رأيت أحدهم يشيد على قنطرة مصنعه ومنزله؟**

**لقد رأينا من شيد وأقام وقاتل على تلك القنطرة ولم يعي أنها للعبور وليست للإقامة والخلود، فأقام وشيد وأفنى حياته من أجل ذلك ،ثم هو يفاجئ بأحدهم يقول له:**

**لقد حان ميعاد رحيلك وتركك لهذا كله ،فكم لبثت في هذا المكان رغم معاناتك وقلقك وحيرتك والدفاع عن ملكك هذا الزائل؟**

**فانتبه المسكين ولكن بعد عمر قضاه من العنت والسهر والمرض ،فقال وهو ينعي حظه ويندم على ما عاشه:**

**لقد لبثت يوماً أو بعض يوم ، تلك هي الدنيا لا تساوي عند رب العالمين جناح بعوضة لحقارتها وقلة خيرها.**

**ولكن هل توقن أن جنتها قطعة من الجحيم ومتاعها متاع الحزين؟**

**لو كنت توقن ذلك فهيا غير حياتك واستشعر يوم مماتك ،ومر فراقك.**

**فهيا أخرجها من قلبك وضعها تحت أقدامك ، ولا تبالي بزخرفها ولا زينتها، فكل ذلك أكذوبة وبعض السراب ولو أقبلت عليه لما وجدته وستعلم أنك خدعت.**

**هيا ابحث عن حياتك الأبدية وانفض عن نفسك حياة التعساء ، وقم واعمل في أرض البقاء ، فهل زرعت أرضك الجديدة؟**

**هل شيدت فيها ديارك وقصورك؟**

**هل فكرت فيها أصلاً؟**

**أم أنك تلهو وتلعب وتعمل دون أن تمهد لحياتك الأخرى التي لا تنتهي ولا يجف زرعها ولا يتبدل خيرها ولا ينقطع ماءها أو طعامها، فهي سكن الأنبياء وحلم الأتقياء ، و أمل العلماء ، ومقر الشهداء ، وهي الحياة الكريمة ، والعيشة السعيدة ، والأيام المديدة ، لا ييأس ساكنها ،ولا يحزن قاطنها، ولا يغتم داخلها، فيها ما لم تره أو تسمعه أو تتخيله ، أرضها الزعفران، وترابها المسك ، وبناءها الذهب ، فيها الأنهار الكثيرة، ففيها أنهار العسل وأنهار الخمر وأنهار اللبن وأنهار الماء ، أرض السعداء ومن يدخلها لا يشقى ولا يموت ولا يسقم ولا يعتريه الهم ولا الحزن أبداً.**

**لن ترى في تلك الحياة الأخرة تلك الشمس القاسية ولا الزمهرير المضنى ولا تعب تحصيل الطعام ولا الشراب ، لن تجد فيها تلك الشخصيات السقيمة ، ولا تلك النفوس الضعيفة**

**،ولا تلك الكائنات التي تكدر عليك عيشك، ولكنك ستجد نفوساً طاهرة بقلوب نقية لا يحملون سوى قلب سليم من كل حقد وحسد وغل وبغض وأسود، لأن صاحب هذا القلب الحقود الحسود لا مكان له في تلك الحياة ولا على هذه الأرض الجديدة النقية، ولكن مكانه دار الأشقياء والجبناء ومكذبي الأنبياء ، فلابد أن يتطهر قلبه أولاً بالنار حتى يصلح أن يدخل أرض الأتقياء والأنبياء.**

**فهل بعدما شاهدت الفرق بين الدارين تصر على المكوث في دنيا التعاسة والشقاء؟**

**هل ستتقاتل وتعادي من أجل لعاعة ودنيا الإغواء؟**

# النـهايـة